

مذكرات سامي ينغين، ١٩١٧-١٩١٨م:

نهاية الدور العثماني في سورية زاخاري ج. فوستر*

مذكرات تجارب سامي ينغين إلى مكتبة صغيرة. لكنها متنامية. من مذكرات أعوام الحرب الأولى في سورية. بما في ذلك مذكرات نصري بك لحدود اللبكي^٣ ويوميات كل من إحسان ترجمان^٤ وكوندي دي بالوبار^٥ وخليل السكاكيني^٦ وموردخاي بن هيلل هاكوهن^٧. ما أطره هنا هو أن وحشية الجيش العثماني التي جرى تناولها بصورة متكررة. يجب أن تفهم في سياق الأوضاع القاسية التي عاشها المجتدون المجمعون والمفقرون. كان هؤلاء جنوداً في زبهم الموحد فقط. فقد جندوا من دون رغبة منهم. ومُنحوا أجورهم عملةً ورقية لا قيمة لها (هذا إن حصلوا على أي أجر أصلاً). ولم يحصلوا غالباً على أية مؤن خلال عمليات التجنيد والتدريب والقتال والانسحاب. وتعرضوا لأوضاع عمل وقتال غاية في القسوة. لقد انتزعوا من عائلاتهم وأجبروا على السير عبر الجبال والصحاري. وتعرضوا لأسوأ الأمراض التي خبرها البشر. من وجهة نظر الجنود. يبدو احتلال سورية مختلفاً بعمق عن وجهة النظر التي كوّنها منتقدهم. ووجهة نظر الجنود هي ما أحاول تسليط الضوء عليه لاحقاً.

تأخذنا رحلة سامي ينغين من درمة إلى غزة. وبعدها في طريق العودة إلى درمة. مع زيارات لكل قرية وبلدية على الطريق تقريباً. يكتب ينغين عن الأحلام التي تتعلق دوماً بأسرته^٨. عن متعة شراء السجائر^٩ وتحركات

ما أرمي إليه هنا هو رواية قصة تتعلق بالجيش العثماني في سورية^١ خلال الحرب العالمية الأولى عن طريق تجارب المجتد سامي ينغين. الذي كان يبلغ الثانية والعشرين من عمره ويتحدث التركية. وهو يتحدّر من كوباليسنا. التي كانت جزءاً من ولاية درمة العثمانية. ضمن ما يعرف الآن بمقدونيا الشرقية. احتفظ سامي بمذكرات لفترة الحرب (١٩١٧-١٩١٨م). وقامت الأرشيفات العسكرية التركية بنشرها سنة ٢٠٠٧م تحت عنوان مذكرات حرب: من درمة إلى سيناء- فلسطين^٢. كتب ينغين بصورة يومية تقريباً في معظم فترة العامين. إذ تناول بصورة مكثفة الحصص الغذائية وتحركات القوات والمعارك الحربية وأوضاع الجنود وأفكارهم ومخاوفهم ورغباتهم. بالإضافة إلى قيامه بتسجيل مفصّل جداً للانسحاب العثماني من سورية. من الممكن إضافة

٣ وجدت هذه اليوميات في أرشيف البطريركية المارونية اللبنانية. وهي تعود إلى سنة ١٩٢٠م. وقد نشرها الأب ريمون هاشم تحت عنوان جوانب تاريخ جبل لبنان. (منشورات الجمعية الأنطونية. ٢٠٠٧). مضافاً إليها فصل تمهيدي ثري بشأن الحرب. قبل الصفحة الأولى.

٤ نشرها وحررها سليم تماري بالعربية تحت عنوان: عام الجراد. الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. ٢٠٠٨). كما نشرها بالإنجليزية:

Year of the Locust: A Soldier's Diary and the Erasure of Palestine's Ottoman Past (Berkeley: University of California Press, 2011).

٥ Edwardo Manzano Moreno and Roberto Mazza, eds. and trans., *Jerusalem in World War I: The Palestine Diary of a European Diplomat* (London: I.B. Tauris, 2011).

٦ أكرم مسلم. محرر. يوميات خليل السكاكيني. الكتاب الثاني. النهضة الأرثوذكسية. الحرب العظمى. النفي إلى دمشق. ١٩١٤-١٩١٨م. (القدس ورام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية. ٢٠٠٤).

٧ *Milhemet ha-Amim 1914-1918: Yoman* (Jerusalem: Yad Izhak Ben Zvi, 1981).

٨ Yengin, *Drama'dan...*, op. cit., Pp. 12-15, 29-30, 42-3, Sami 46, 57, 64, 67, 126

٩ راجع على سبيل المثال: Yengin, op. cit., P. 33, 11 February 1918 Sami

١ أستخدم مصطلح سورية للإشارة إلى الولايات العثمانية التي كانت تعرف بسورية. حلب وبيروت. ومناطق جبل لبنان. والقدس.

٢ Sami Yengin, Ahmet Tetik, Sema Demirtaş and Ayşe Seven (eds.), *Drama'dan Sina-Filistin'e Savaş Günleri*, 2007 (Ankara: Genel Kurmay Basimevi).

قدم كهيت ينغين. وهو ابن سامي. المذكرات إلى *Askeri Tarih ve Stratejik Etüt Başkanlığı Arşivi* (ATASE) (أرشيفات التاريخ العسكري التركي العام ومؤسسة الدراسات الاستراتيجية). وأضاف المحررون إلى الملاحق عدداً من صور سامي ينغين التقطت بعد الحرب. وصوراً لليوميات نفسها (والتي كتبت طبعاً بالأحرف العثمانية). إضافة إلى عدد من الخرائط للإمبراطورية العثمانية وسورية الكبرى (والتي تتضمن تفصيلات المعركة. وتحركات القوات وما إلى ذلك). يمكن الحصول على نسخة إلكترونية من الكتاب عبر الرابط: <http://resmitarih.com/wp-content/uploads/04/2013/DramaSinafilistinSavasGunlugu.pdf>. Accessed 17 November 2013).

* زاخاري فوستر مرشح لدرجة الدكتوراه في قسم دراسات الشرق الأدنى في جامعة برينستون. تدور أطروحته حول أسباب المجاعة في سورية خلال الحرب العالمية الأولى.

القوات، وحصص الطعام اليومية. وعن ليالي الحرمان من النوم، وشعوره بالوحدة والملل والإثارة والألم والجوع والبرد القارس، ورغبته التي لم تتحقق غالباً بتناول الفواكه اللبانة من القرى التي تمتد على طول طريقه نحو المعركة.¹¹ العنوان الرئيس لنهاره كان عادةً حول إرسال البريد واستلامه من أسرته في درمة.¹¹ كان ينغين يحمّد الله بشكّل مستمرّ على بقائه على قيد الحياة، ويطلب منه تعالى البركة.

يكشف ينغين أيضاً عن رغبته في الفرار من الجندية في عدة مناسبات، ويصرّح في مرحلة ما أنّه كان قد قرّر الفرار في حال لم يجتاز امتحاناً سيمنح بعده وظيفة كاتب حسابات.¹¹ لكنّه اجتاز الامتحان وحصل على وظيفته المرغوبة تحت مسمّى «معاون». مهمته أن يكتب تقارير للجيش. يبدو أنّ هذا هو السبب الذي جعل اليوميات منذ منتصف آذار ١٩١٨م وصاعداً غنية بتفاصيل كمّية دقيقة تتعلق بالحصص الغذائية اليومية وأعداد القوات والفارين من الجندية. سنتناول العديد من هذه القضايا بعمق أكبر لاحقاً بما في ذلك: (١) المسيرات العسكرية الطويلة والمعارك؛ (٢) الطعام والماء؛ (٣) التفاعلات مع السكان المحليين؛ (٤) الفرار من الجندية.

لكن قبل التعمق أكثر في اليوميات، لنعد إلى الوراء قليلاً لنلقي نظرة مختصرة على بنية الجيش العثماني في سورية خلال الحرب العالمية الأولى.

أفراد الجيش العثماني في سورية

لا يبدو التركيب العرقي الدقيق للجيش العثماني في سورية أمراً معروفاً، ولا يبدو أنّه من الممكن تحديده. كون الجنود كانوا يُنقلون بصورة متكررة إلى الأمام والخلف بين الجبهات. أيضاً ليس هناك معنىً محدداً لرسم خطوط واضحة بين العرب والأتراك. على الأقل من منظور ينغين.¹² وفي الحقيقة، فإن الاختلافات العرقية نادراً ما تظهر في يوميات ينغين، الذي كتب بصورة يومية

١٠ Yengin, P. 8, op. cit, 6 September 1917 Sami

١١ حتى إنه في إحدى الحالات علم أنّ عمّه أرسل إليه وإلى عمّته ١٥٠ ليرة. راجع:

Yengin, op. cit., Pp. 96, 28 June Sami

١٢ راجع يوميات ينغين ١٩١٩، ٢٣، ٢٤، ٢٨، نيسان ١٩١٨م.

Yengin, op. cit., Pp. 62, 64, 68, 69, 72

١٣ لم تكن هذه حالة جنود آخرين كتبوا يومياتهم، كإحسان ترجمان، الذي يتحدث كثيراً عن التوزيع العرقي للجنود والضباط.

تقريباً لمدة تقارب العامين من دون أن يزج نفسه أنّ يخبرنا الكثير حول الهوية العرقية للوائه. وفي الواقع فإن كلمة «ترك» لم تظهر في اليوميات بتاتاً. لكن هناك إحصاءً بأن أغلبية المجنّدين الذين خدموا في سورية كانوا من الناطقين بالعربية. على الرغم من أنّهم ضموا أعداداً كبيرة من «غير العرب» كالأتراك والبلغار والألبان والأكراد.¹⁴ بينما يبدو أنّ أصحاب الرتب الأعلى في التراتبية العسكرية كانوا أساساً من الناطقين بالتركية أو من الألمان. ويبدو أنّ التوجه العام نفسه كان صحيحاً فيما يتعلق بالمحاكم العسكرية والبيروقراطية العسكرية. لقد كان أصحاب الرتب العليا في السلطة العسكرية بصورة أساسية من الناطقين بالتركية. بينما كان جنود الصف من الناطقين بالعربية.¹⁵ لكن هناك واحدٌ على الأقل من العرب الذين كتبوا مذكرات في الحرب، وهو نصري بيك لحدّ اللبكي، كان قد انتقد من اعتبرهم عرباً أشراراً، سيطروا على المحاكم العسكرية والمكاتب الإدارية في الجيش.¹¹

ماذا عن حالتهم الاجتماعية-الاقتصادية؟ من المؤكد أن معظم الجنود الذين جندوا في الوحدات القتالية وقاتلوا على الجبهات قد جاؤوا من البيئات الأفقر. لا سيما بيئة الفلاحين. وخصوصاً أنّ الجنود من

١٤ عادل مناع، فلسطين في أواخر العهد العثماني، ١٧٠٠-١٩١٨م، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٩)، ص. ٢٦١.

Cemal Pasha, *Memories of a Turkish Statesman, 1913-1919* (London: Hutchinson, 1922).

Nicholas Z. Ajay, *Mount Lebanon and the Wilayah of Beirut, 1914-1918: The War Years* (Ph.D. Dissertation, Georgetown University, 1972), P. 274

روى البريطانيون بوجه مشابه: «تتكون المحكمة العسكرية في بيروت وعاليه (جبل لبنان) من ٥ أو ٦ ضباط منهم فقط واحد عربي...»

"Situation in Syria," p. 4, Foreign Office (FO) 371.2777, The (British) National Archives, (TNA).

١٦ خلال إقامته في المنفى في أضنة اتهم بأنه أرمني إلى جانب عمّه د. بطرس لبكي اللبناني البعداتي، الذي جرى تسجيله تحت اسم بدرس، وهو اسم قريب لبديروس الأرمني. ثم اتهم بالفرار من الجندية، ولذلك أصبح مطلوباً منه دفع البديل النقدي. وهذا ما قاله بشأن ما حصل: «بعد أربعة أيام، أصدر عدلي بيك أمراً لاعتقالي كوني فارّاً من الجندية... وأُحلت إلى ديوان الحرب. أي المحكمة العسكرية، لقد أنساني تعصب العرب والوجه السيئ لهم تعصب الترك واضطهادهم. في الحقيقة كان رئيس الديوان (المحكمة العسكرية) عربياً وهو محمد بيك من حماة، كان رئيس المكتب (الإداري) عربياً. عارف بيك من حلب. لم يكن سبب عدم الحكم علي بالإعدام، كما فعلوا مع اثنين من وحدتي قتلهم وحدة إطلاق النار، هو الشفقة علي بل المال (أي الرشوة)، وهذا ينطبق على بقية المصريين والشاميين والقباضة واللبنانيين. فقد اكتفت (المحكمة العسكرية) بمضاعفة بدل النقد الذي كنا ندفعه.» راجع: هاشم، جوانب من تاريخ جبل لبنان، ص. ١٠٧.

العائلات الأغنى كانت لديهم خيارات، فقد كان بإمكانهم دفع بدل العسكرية، أي ضريبة الإعفاء؛ أو العمل كخياطين أو أطباء أو عمال تلغراف أو إداريين محترفين. مثل توفيق كنعان؛ أو رشوة الضباط للهروب من الجيش. مثل حالة نصري بيك لحدود البلكي؛ أو العمل في وظيفة مكتبية مريحة وقريبة من المنزل. كما في حالة إحسان ترجمان.¹⁷ كان الانتماء الديني مؤثراً بصورة كبيرة، وكان غير المسلمين يُجبرون على العمل في الزراعة أو في البناء أو في جمع القمامة غالباً، أو كانوا ضمن التدريب العسكري. لكن من دون أن يحملوا السلاح.¹⁸

ترحال عبر الإمبراطورية

فلنتعرف الآن إلى بطل قصتنا، سامي بنغين. كانت رحلته إلى المعركة قد بدأت فعلاً في الصفحة الثانية من يومياته: «في ٢٨ أيار ١٩١٧م، انطلقنا من «حيدر باشا» (في الجانب الأناضولي من اسطنبول) إلى مكان لم أكن قد سمعت به. في الأثناء مر القطار عبر إيرينكووي، بوستانسي، كيزيل توبراك. أتت الجموع راكضة خلف

١٧ كان كل من إحسان ترجمان، وواصف جوهريه، وخليل طوطح وعمر الصالح البرغوثي، وتوفيق كنعان، من عائلات بارزة نسبياً أو أصحاب ثقافة ذاتية، استطاعوا الحصول على مواقع غير قتالية في الجيش العثماني. راجع: سليم تماري وعصام نصار، محرران، القدس العثمانية في مذكرات الجوهريه: الكتاب الأول من مذكرات الموسيقي واصف جوهريه، ١٩٠٤-١٩١٧ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٣)، ص. ٢٤١. عمر الصالح البرغوثي، رفيف البرغوثي (محررة)، المراحل (بيروت وعمان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١) ١٣-١٤، سليم تماري (محرر)، عام الجراد، الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين: مع أيام مثيرة في حياة العسكري إحسان القصيرة، يوميات جندي عثماني ١٩١٥م-١٩١١م (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٨). Thomas Ricks, *Turbulent Times in Palestine: The Diaries of Khalil Totah* (Beirut: Institute for Palestine Studies, 2009), Pp. 193-220; Khaled Nashef, "Tawfiq Canaan: His Life and Works," *Jerusalem Quarterly* 16 (2002): P. 20; See also Eric Zürcher, *The Young Turk legacy and Nation Building: From the Ottoman Empire to Atatürk's Turkey* (London: I.B. Tauris, 2010), P. 170

١٨ Mehmet Beşikçi, *Ottoman Mobilization of Manpower in the First World War: Between Voluntarism and Resistance* (Leiden, Boston: Brill, 2012), 136-7; Gad Frumkin, *Derekh Shofet bi-Yerushalayim*, (Tel Aviv: Dvir, 1954), P. 179; Alexander Aaronsohn, *With The Turks in Palestine* (Boston, New York: Houghton Mifflin Co., 1916م), P.p 23-7; Bertha Spafford Vester, *Our Jerusalem* (New York: Arno Press, 1977), P. 234; Zürcher, *The Young Turk Legacy*, 171-2. أيضاً: تماري، عام الجراد، مصدر سابق، ص. ١٢٧.

القطار في محاولة لوداعنا، كانت ملامح وجوههم تعكس ذهولاً تاماً. الأمر الذي جعلني أذف دموعاً من دم»^{١٩} لقد جرى اختيار بنغين، وهو بالأصل من درمة، وهي ولاية عثمانية ضمن منطقة سالونيك، للذهاب إلى غزة، الواقعة في جناح السلطنة العثمانية الجنوبي الغربي، حيث سيشارك في القتال ضد البريطانيين.

اجتاز بنغين الأناضول ومعظم سورية وصولاً إلى الرملة.^{٢٠} ومنها ستتواصل بقية رحلته إلى غزة مشياً على الأقدام عبر منطقة رملية وجبلية. «في النهاية كان عليّ أن أخلع حذائي وأمشي مرتدياً جواربي. لا أعلم كيف كنت قادراً على السير على الرمال الحارة الحارقة ذلك اليوم.»^{٢١} في اليوم التالي استطاع بنغين شراء حذاء من قرية على الطريق. بيد أنّ مقياس الحذاء كان كبيراً جداً، لكنّ هذا يُبقيه في حال أفضل من كثير من المجتدين الآخرين الذين لم يرتدوا أحذية على الإطلاق. وقطعوا الرحلة المضنية الطويلة منتعنين ما لا يزيد عن خرقٍ مربوطٍ حول أقدامهم.^{٢٢}

١٩ Yengin, *Drama*, 1-2

ربما كتبت عبارة «دموع من دم» بشيء من المبالغة، لكن المواكب العامة ولحظات الوداع المؤلمة كانت أمراً عاماً عبر السلطنة، فعلى سبيل المثال استذكر ألماني يعيش في نابلس المواكب اليومية الضخمة من الجنود والعربات والجمال على طول خط سكة حديد الحجاز، وذلك منذ بداية آب ١٩١٤م حتى منتصفه. «كان الأطفال والنساء ينوحون ويبكون ويصرخون ويدعون على طول جانب الطريق.» راجع: Gerda Sdun-Fallscheer, *Jahre des Lebens* (Stuttgart: J.F. Steinkopf Verlag, 1985), 473

يتحدث جندي آخر وهو جرجيس كيرتجان عن تجنيده في الجيش في دمشق والوداع المؤلم الذي رافق مغادرته. «كان عليّ أن أخدم في الجيش التركي... لقد استدعيت وأرسلت مباشرة من المدرسة العسكرية في دمشق. لم يسمحوا لي بالذهاب [كذا] ورؤية أهلي قبل السفر. كان عليهم القدوم جميعاً إلى المحطة لرؤيتي عندما تُأغار. كانت أمي المسكينة تبكي طوال الوقت وكنت أحاول تهدئتها.

٢٠ letter to Davidson), *R.T.* Jaliljius Kert'an, 10 March 1918 Lambeth Palace 64, 1912م Davidson Papers 400 (1916 Library Archives (London

٢١ وهكذا انتقل بنغين من كيزيلتوبراق إلى إسكيشيهر وقونية. وبعد ثلاثة أيام، وفي ٣١ أيار ١٩١٧م وصلت وحدته إلى بورانتي، التي تقع على النلال أسفل جبال طوروس. ولأن خط القطار الذي يعبر جبال طوروس كان لا يزال في طور البناء في أيار ١٩١٧م، انتقلت الوحدة سيراً على الأقدام إلى جوليك ثم منها إلى ماموري بالقطار ومنها إلى إصلاحية سيراً على الأقدام مرة أخرى. بعد ذلك استقلوا قطاراً آخر من إصلاحية إلى حلب. ومن حلب واصل بنغين طريقه نحو بعلبك ورياق وأخيراً دمشق، والتي كانت مقر وجود وقيادة الجيش الرابع في سورية. وبحلول شهر آب ١٩١٧م وصلت وحدته مدينة الرملة (في فلسطين). راجع: Yengin, *Drama*, 2-6

٢١ Yengin, *Drama*, 6

٢٢ نصيف بيك أبي زيد، *العصر الدموي* (دمشق: مطبعة المفيد، ١٩١٩). ص. ١١١: محمد رفيق تيممي ومحمد بهجت، ولاية



صفحتان من اليوميات الأصلية.

ومهمات الاستطلاع.^{٢٩} والقصف البري والجوي.^{٣٠} وتبادل القصف المدفعي.^{٣١} وسقوط الرفاق.^{٣٢} دفاعاً عن المواقع العثمانية في وادي الأردن، وشرق نهر الأردن، وعلى خط الجبهة بين القوات العثمانية والبريطانية، والتي امتدت من البحر المتوسط إلى البحر الميت ابتداءً من نقطة تقع شمال يافا.

بالنسبة إلى ينجين فقد هدأت الأمور في أشهر صيف ١٩١٨م. ويبدو أنّ روتين الحياة الرتيب وليالي الحرمان من النوم قد أفقدته صوابه نوعاً ما. «وجدت نفسي محروماً كلياً. لقد كان أسبوعاً بلا نوم. اثنتان وعشرون ساعة عمل وساعتان نوم...»^{٣٣} ويكتب ينجين عن ملله ويأسه الهائل. هنا بدأت اليوميات تظهر على النمط نفسه، تقارير تتعلق بالمخازن والتموين والحصص الغذائية وتحركات القوات. «لا يمكن احتمال الملل في هذه الأيام»^{٣٤}

تشكّل يوميات ينجين نموذجاً لتحركات القوات العثمانية، والتي امتدت في العديد من المرات عبر كامل الامتداد الجغرافي للسلطنة، من العاصمة إلى الزوايا النائية الأبعد في الأناضول وسورية والعراق. يذكر العديد من الجنود الآخرين باستمرار صعوبات

عبر طريقه إلى الجنوب من الرملة إلى غزة. تستمر اليوميات بتسجيل سقوط غزة، من وجهة نظر القوات العثمانية، نتيجةً لضربةٍ بريطانيةٍ تلو ضربة. مع الهجوم البريطاني على غزة وبئر السبع في الثاني من تشرين الثاني، والذي عرف بمعركة غزة الثالثة، كان ينجين قد وصل جنوب فلسطين حيث كان مسئولاً ضمن أمور أخرى عن تحريك القوات إلى مقدمة الكتيبة ومؤخرتها. عندما أصبح سقوط غزة وشيكاً كان ينجين يصف انسحابه السريع إلى الرملة، حيث أجبر على السير لمدة ثماني عشرة ساعة ولمسافة سبعين كيلومتراً تقريباً. كتب ينجين: «تمزقت أذيتنا إلى قطع صغيرة»^{٣٥} واصل ينجين الانسحاب من الرملة باتجاه نابلس، ومنها إلى القدس فأريحا، حيث اجتاز نهر الأردن في طريقه إلى السلط، ومن السلط عاد إلى أريحا، ثم ثانية إلى القدس. وبينما بدأ العدو يحاصر القدس في كانون الأول ١٩١٧م، هرب ينجين مجدداً مع عددٍ من الجنود الآخرين لمسافة ثمانية عشر كيلومتراً (في مسارٍ مستقيم نحو أريحا) تحت المطر الغزير حتى وصلوا إلى أحد الأبار.^{٣٦} كانت تلك ليلةٍ من عشرات الليالي التي حُرِم فيها ينجين النوم، حيث لم يكن لديه سوى معطفه ليحميه من طقس الشتاء القارس.^{٣٧} وعندما هرب من القدس لم يكن في جيبه سوى نصف ليرة وثمانية قروش فضية. كانت المواجهات الحادة بين العثمانيين والبريطانيين مستمرة، حيث لوحق العثمانيون باتجاه خط «أكتاف الجبال» شرقاً وشمالاً من القدس في نهاية كانون الأول.^{٣٨} ما ميّز أشهرَ شتاء ١٩١٨م^{٣٩} هو انعدام النوم ليلاً والبرد القارس نهاراً مع انعدام المأوى، إضافةً إلى الاستعدادات للمعركة والتحصينات.^{٤٠}

بيروت، (الجزء الثاني) (بيروت: مطبعة الإقبال، ١٩١٧)، ٢٨؛ Sdun-Fallscheer, *Jahre des Lebens*, 485; Aaronsohn, *With the Turks in Palestine*, 8-9; Zurcher, *The Young Turk Legacy*, 178-9; Ajay, *Mount Lebanon and the Wilaya of Beirut*, 173

٢٣ Yengin, *Drama*, 19-20

٢٤ Yengin, *Drama*, 8 December 1917, P. 25

٢٥ Yengin, *Drama*, 25

لمزيد بشأن الطقس شديد البرودة والمطر والرياح، راجع يوميات ينجين بتاريخ ٢٦ و ٢٧ كانون الأول ١٩١٧م. يوثق ينجين مزيداً من الليالي التي خلت من النوم في شهر آذار. راجع يومية ٣٠ آذار ١٩١٨م، ص. ٥٤.

٢٦ لمزيد بشأن تفصيلات المعركة، راجع على سبيل المثال:

Mesut Uyar and Edward J. Erickson, *A Military History of the Ottomans* (Westport, CT: Praeger Security International, 2009), 269-71

٢٧ يوميات ينجين، يومية ٣٠ آذار ١٩١٨م، ص. ٥٤-٥٥.

٢٨ على سبيل المثال يوميات ينجين ١٠، ١١، ١٤، ١٨، ٢٠، ٢٧، ٢٨

نيسان ١٩١٨م، ص. ٦٠-٦٢، ٦٥-٦٦، ٧٢، ٨٠، ٨٣، ١٠٩.

٢٩ على سبيل المثال، يوميات ينجين ١٧-١٨، ٢٠، ٢٥-٢٦، نيسان ١٩١٨م، ص. ٦٢، ٦٦، ٦٩، ٧٥.

٣٠ راجع على سبيل المثال يوميات ينجين، ص. ١٦-٢٩، ٤١-٤٠، ٤٥، ٥٦، ٧٢.

٣١ يوميات ينجين، ١٨ نيسان ١٩١٨م، ص. ٦٢.

٣٢ راجع على سبيل المثال يوميات ينجين ٢٣ شباط ١٩١٨م، ٢٦ و ٢٨ نيسان ١٩١٨م، ١٦ أيار ١٩١٨م، ص. ٣٥، ٧٠، ٧٢، ٧٣، ٨٠.

٣٣ يوميات ينجين، ٤ أيار ١٩١٨م، ص. ٧٦.

٣٤ يوميات ينجين، ١٣-١٤ حزيران ١٩١٨م، ص. ٩٣. وللمزيد بشأن شعوره بالملل، راجع يومياته في ٥-٧ تموز ١٩١٨م، ص. ٩٧، ٩٨.

هذا جيشاً كاملاً يتحرك. سنعود إلى تسجيل ينجين المفصل لسقوط سورية في نهاية صيف وخريف ١٩١٨م. لكن بدايةً سنتناول بعض التحديات الصعبة الأخرى التي كان على القوات العثمانية مواجهتها.

نقص المياه

تشرح لنا يوميات ينجين أيضاً نقص الماء الحاد الذي عاناه الجيش خلال العمليات القتالية والسفر عبر السلطنة. في طريقه من الرملة باتجاه الجنوب للقتال على جبهة غزة في نهاية آب ١٩١٧م. يصف ينجين وضع الجنود: «مع شروق الشمس انطلقنا. نفس الصعوبات على الطريق... لم يكن هناك ظل في أي مكان. ولم تكن هناك رشفة من أي شيء يُشرب. يبدو أنّ هذه الصعوبات هي سبب الألم المستمر لثلاثة من أسناني هذا اليوم.»^{٣٩} عندما وصلت وحدته إلى غزة. خلال الدفاع عنها في نهاية آب وفي أيلول ١٩١٧م. كتب ينجين «حوصرت عربات المطبخ (معنا) من الخلف. هنا يقدم الطعام للجنود. وحتى إن دفعت ليرة ذهبية كاملة، فلم يكن هناك ماء. بصعوبة بالغة حصلت بالكاد على قربة ماء من عربة المطبخ. التي أتت من مؤخرة الكتيبة. تلك الليلة تدبرت أمري بهذا الماء.»^{٤٠}

يناقش ينجين بعد بضعة أسابيع بصورة أكبر نقص الماء بين الجنود الذين تلقوا الأوامر بالانتقال نحو جبهة غزة.

أصبحت بإعياء وألم شديدين. أخيراً في ١٤ أيلول ١٩١٧م. أصبت بإسهال دموي. استمر الأمر ثلاثة أيام. في ١٦ أيلول. تلقت كتيبتنا الأوامر ثانيةً بالانتقال إلى الجبهة. بدأنا التحرك صباحاً... أخيراً حصلنا على المأوى في وادي بَها. هنا لا يوجد ماء. لأنه لا توجد قري. كان يتم جلب الماء بواسطة مضخة آلية موجودة في القدس.^{٤١} تقع على مسافة خمس ساعات (من الجبهة). كان

يوميةً مثابتهً لما ذكره ينجين. كالحرماني من النوم ليلاً والمسير العسكري الطويل. ومن هؤلاء شريف غورلاب.^{٣٥} وألكسندر أرونسون.^{٣٦} وجريجس كيرتغان^{٣٧} وآخرون. مراراً وتكراراً نعرف أنه لم تكن تُقدّم إلى الجنود مؤنٌ أساسيةً في أثناء التجنيد والتدريب. حتى أصحاب الرتب العسكرية العليا. مثل فريدريك فريهير كريس فون كريسستين وفالح رقيقي أطاي وجمال باشا ومصطفى كمال وغيرهم. لم يكن بإمكانهم التهرب من المسير العسكري الطويل والمتعرج. فكلهم قد عبروا شبه الجزيرة الأناضولية باتجاه الجبهة السورية.^{٣٨} كان

٣٥ خدم شريف بدايةً في جالبولي. ولقد شارك مع وحدته في الرحلة المضنية عبر شبه الجزيرة الأناضولية. في البداية في الفطار إلى قونية. ثم سيراً على الأقدام في أجواء الشتاء إلى بوزانتي فطرسوس فأضنة فحلب أخيراً (لا يبدو أن كل الجنود كانوا محظوظين مثل ينجين ليسافروا في الفطار من قونية إلى بوزانتي لمسافة ١٤٦ كيلومتراً). عندما وصلت وحدة سيريف إلى حلب. التقت بجنود عثمانيين آخرين وصفهم أنهم شعث يدوسون بأقدامهم العارية الثلج والجليد. الأمر الذي جعله يرتعد لمجرد النظر إليهم. راجع: Şerif Güralp, Çanakkale Cephesinden Filistin'e: Bir Askerin Günlüğünden (Istanbul: Güncel Yayıncılık, 2003), 59-63.

٣٦ وصف ألكسندر أرونسون. وهو شخص غير مشهور من نبلي غانج. تجنيد. حيث سار مدة أربعة أيام شمالاً من بيته في مستعمرة زخرون يعقوب. بفلسطين. بلا مؤن ولا طعام ولا حصص غذائية. كتب أنّ المجندين قدموا أنفسهم إلى محطة التجنيد في عكا. لقد أخبروا أصلاً أنه عندما تسجل أسماؤهم سيسمح لهم بتدبير عائلاتهم. بدلاً من ذلك ساروا مباشرة إلى صف. حيث ستكون حاميتهم. لم يقدم إليهم أي طعام خلال مسيرهم الذي استمر أربعة أيام. أي نحو ٥٤ كيلومتراً. «كان عليهم شراء أية أطعمة من مالهم الخاص. لذلك نهب المجندون المزارع الصغيرة على جانب الطريق- في البداية الخضار والدواجن ثم الأحصنة المشارة. يبدو أن بعض المزارعين العرب الذين تعرضوا للسرقة قد سافروا مع القوات على طول الطريق إلى صف في محاولة لاستعادة ما سرق منهم.» من المؤكد أنّ هذا هو نوع السلب والنهب الذي نقرأ عنه دائماً. لكنه يأخذ معنىً إضافياً عندما يضاف إلى سياقه وخلفيته. Aaronsohn, *With the Turks in Palestine*, 8-9.

٣٧ يقول كيرتغان: «بقيت في المدرسة (العسكرية) لمدة أربعة أو خمسة أشهر. وكان علي أن أدفع مقابل طعامي وإقامتي وملابسي طوال فترة الخدمة. وبعد الحصول على الشهادة. أرسلت إلى حمص. حيث بقيت لبعض الوقت طالباً في المدرسة العسكرية. عندما استطلعت [كذا] الاحتمال أكثر. قررت من الجندية وعدت إلى الديار في رحلة العودة.» من Jirjius Kert'an, 10 March 1918 (letter to Davidson), R.T. Davidson Papers 400 (1916-1923), 64, Lambeth Palace (Library Archives (London).

٣٨ Cemal Pasha, *Memories*, 140-41; Güralp, *Çanakkale Cephesinden Filistin'e*, 59; Fuad Gücüyener, *Sina Çölünde Türk Ordusu* (Istanbul: Anadolu Türk Kitap Deposu, 1939), 14; Falih Rifki Atay, Muammer Sarıkaya (العثمانية) *Ateş ve Güneş* (Istanbul: Pozitif Yayınları, 2009 [1919]), 15.

على سبيل المثال. كتب أتاي أنّ الرحلة الشاقة من اسطنبول إلى السويس جعلت الجنود ينسون حتى أكثر مغامراتهم بؤساً والتي خبروها على جبهة سيناء ذاتها! Atay, *Ateş ve Güneş* 15.

٣٩ .Yengin, *Drama*, 6

٤٠ .Yengin, *Drama*, 8

٤١ الكلمة التركية المستخدمة بمعنى القدس في اليوميات هي *Cemame*.

كل جندي يُمنح بضعة أكواب من الماء يومياً.
لاستخدامها في غسل الملابس والاعتسال، أو
باختصار لكل احتياجاته.^{٤٦}

إلى قناة السويس. مع الحد الأدنى من الاعتماد على آبار
سيناء.^{٤٧}

تؤكد التدوينات التي نقرأها الخطورة الكبيرة
الناجمة عن نقص المياه. فقد منع الجنود تماماً من
استخدام الماء لغسل الملابس، أو للاغتسال، أو لغيرها
من الاستخدامات الشخصية.^{٤٨} يذكر أطاي، وهو أحد
الضباط الذين شاركوا في الهجوم، أنّ الأمر قد وصل
إلى حدّ امتناع قائد الجيش عن منح ضابطٍ برتبةٍ عليا.
لم يتمكن من غسل وجهه منذ أسابيع. حصّةٍ إضافيةٍ
من الماء. ذكر أحد الجنود أنّ الماء أصبح ثميناً جداً
لدرجة أنّ بعض الجنود باعوا حصتهم لأخرين مقابل
نقود فضية.^{٤٩} بينما شرب آخرون بشراهة بول الحمير
والجمال ليرووا عطشهم (رغم أنّ البول يحتوي على
نسب عالية من الأملاح، ولا يساعد بشكل خاص على
التخفيف من العطش).^{٥٠} في الحقيقة، فقد خصّص
رجالٌ مسلحون بالحرب لحماية أماكن تخزين المياه،
بينما عوقب بشدة من جرى ضبطهم يشربون أكثر من
قربةٍ واحدةٍ من الماء في اليوم.^{٥١}

لم تكن كميات المياه القليلة التي أمكن
استخراجها من آبار صحراء سيناء مناسبةً لإرواء
العطش. ذات مرة، صرخ أحد الأطباء عندما رأى أحد
مساعدَي القادة يملأ قيرته بماءٍ موحل. «أمنعك من
شرب ذلك الماء!»^{٥٢} وكما يستذكر بروفر، وهو ضابط
ألماني خدم خلال حملة السويس سنة ١٩١٥م:

حتى جمال باشا نفسه عانى بشكل مساوٍ من
الماء 'كربه الطعم الذي بالكاد يمكن شربه'.
كان الماء الذي يستخرج من الآبار الصحراوية
التي أُعدت على عجل مالحاً أو طينياً في العادة.
وفي حالات أخرى كان الماء مجرد مياه أمطار

يكمل بنغين في الصفحة التالية: «منذ مغادرتنا لبيت
دجن في ٢٥ آب [وحتى ٣ تشرين أول]. لم أر أي سطح
مائي. لذلك كان انسحابنا [إلى دياب] صعباً جداً.»^{٤٢}
كتب بنغين في شهر كانون الثاني ١٩١٨م بشأن الماء:
«لم تعد لدينا نقود فضية [فقط ٣٥ قرشاً من العملة
الورقية]. لم يبقَ من يساعداً سوى أنفسنا والله تعالى.
ليس لديكم فكرة كم فرحت اليوم عندما وقعت يداي
على بعض الماء بحيث أمكنني غسل رأسي.»^{٤٤}
إذا كانت المياه شحيحة على الجبهة الجنوبية في
نهايات سنة ١٩١٧م -كما يشير بنغين- فمن المحتمل
أنّ الوضع كان أسوأ بكثير خلال الهجوم العثماني على
قناة السويس في كانون الثاني وشباط ١٩١٥م. بالنسبة
لهذا الأمر وفي المقام الأول، فقد كان على الجزء
الأساسي من القوات التي جرى الدفع بها نحو القناة
في نهاية ١٩١٤م وبداية ١٩١٥م أن تغادر على دفتين.
لأنّ مصادر المياه كانت شحيحة جداً، بحيث لا تسمح
بانتقال هذا الحشد من البشر والحيوانات مرةً واحدةً.^{٤٥}
فقد كان مجموع القوات يصل إلى نحو خمسين ألفاً.^{٤٦}
وكان على القوات والجمال العثمانية نقل معظم الماء،
الذي كانوا بحاجة، من القدس إلى بئر السبع، ومنها

٤٢ Yengin, *Drama*, 9

٤٣ .Yengin, *Darma*, 10

٤٤ يوميات بنغين. ١٠ كانون الثاني ١٩١٨م.

٤٥ .Yengin, *Drama*, 31

٤٥ Shimon Robenstein, *Ha-Ma'amatzim Ha-ermanim-Turkim bi-Tehume ha-Handasah, Khipuse ha-Mayim veva-Khakla'ut be-Sinai uva-Negev be-Milhemet ha-'Olam ha-Rishonah* (Jerusalem: Sh. Rubinshtain, 1989), 11.

٤٦ بالنسبة إلى مجموع القوات العثمانية، فقد قدره ليمان فون سانديرس بنحو ١٦٠٠٠. راجع كتابه

Five Years in Turkey (Annapolis: United States Naval Institute, 1927), 431

بينما قدر فؤاد ايردن العدد بنحو ٢٠٠٠٠ في كتابه:

Birinci Dünya Harbinde Suriye Hatıraları (Istanbul: Ercan Matbaası, 1962), 11

في حين يقول إدوارد أريكسون أنّ العدد بلغ ٥٠٠٠٠ وذلك في كتابه

in Ordered to Die: A History of the Ottoman Army in the First World War (Westport, CT: Greenwood Press, 2001), 70.

ويقدر البرغوثي وطوطح العدد بنحو ٣٠٠٠٠ في كتابهما تاريخ فلسطين. ٢١٨. وفي مذكرات جمال باشا. ١٥١ ورد أن العدد لم يتجاوز ٢٥٠٠٠.

İsmet İnönü, Sabahattin Selek, ed., *Hatıralarım*: ٤٧
n.p.: Burçak) *Geçmiş Subaylık Yılları*, 1884-1918
.Yayınları, 1969), 171

Erden, *Birinci Dünya Harb'inde*, 31; Münim ٤٨
Mustafa, *Cepheden Cepheye: İhtiyat Zabiti Bulunduğum Sırada Cihan Harbinde Kanal ve Çanakkale Cephelerine ait Hatıralarım* (Cağaloğlu/Istanbul: Arma Yayınları, 1998
[1940]), 26

٤٩ .Mustafa, *Cepheden Cepheye*, 26

٥٠ أبي زيد. العصر الدموي. ١١٢.

٥١ .Atay, *Ateş ve Güneş*, 50

٥٢ .Atay, *Ateş ve Güneş*, 50

أضاف أن حُفر المياه كانت مكتظة «بألف نوع من الحشرات
والميكروبات وأمور أخرى لا يعلمها إلا الله». راجع المصدر
نفسه. ص. ٥٠.

خزّنت في صفائح بترول قذرة.

وكما ينقل بروفر من الميدان فقد كان الفضل يعود بشكل كبير لـ «الأداء المذهل» للمسعفين الألمان. لأن اثني عشر رجلاً فقط قد مرضوا بشكل خطير خلال المسير العسكري المنهك باتجاه قناة السويس^{٥٤}. من الواضح أن لدى بروفر الكثير من الأسباب ليبالغ في نجاحات الألمان. ويبدو تقديره بشأن وجود اثنتي عشرة إصابة فقط منخفضاً بصورة لافتة للنظر. إذا ما أخذنا بالاعتبار الأوضاع التي قرأنا عنها أعلاه. مهما كان عدد المصابين. فقد اتسمت هذه الرحلة القاسية والمضنية عبر مئات الكيلومترات من المناطق غير المسكونة بالإرهاق المستمر والعطش. وطبعاً بالجوع أيضاً. وهو الأمر الذي سننتقل إلى الحديث عنه الآن.

نقص الطعام

شكّل الطعام باستمرار موضوعاً للنقاش والقلق في يوميات ينغين. سواءً عن طريق الملاحظات بشأن الثمار التي تنمو في البلدات والقرى التي مرّ عبرها^{٥٥} أو عن طريق وصف حصص الطعام التي قدّمت للجنود. يسجل ينغين أنه كان يتلقى. ولمدة ثلاثة أيام على الأقل. وخلال عبور نهر الأردن في نهاية تشرين الثاني

^{٥٣} كما هو مقتبس في:

Sean McMeekin, *The Berlin Baghdad Express: The Ottoman Empire and Germany's Bid for World Power* (Camb., Mass: Belknap Press of Harvard University Press, 2010), 174

^{٥٤} على سبيل المثال. يخبرنا ينغين في أيلول ١٩١٧م عن الطعام في بعض القرى العربية قرب الجبهة الجنوبية. بينما كان العثمانيون في خضم الانسحاب نحو الشمال: «أخيراً وحسب الأوامر انسحبنا إلى قرية كوفخة في ٦ أيلول ١٩١٧م. هنا كان لواءنا منشغلاً بالتحصينات. في هذه القرية كان العنب والبطيخ متوفرين بكثرة.» لكن وكالعادة كانت النقود الفضية هي وسيلة الدفع الوحيدة المقبولة. لذلك غادر ينغين من دون الحصول على الفاكهة. راجع: *Drama*, 8. كتب ينغين بعد ذلك: «بين رياق وحلب رأيت بلدة جميلة جداً تدعى «بعليك». وهي محاطة بشكل تام بالساتين. وهي بساتين مشمش بشكل كامل. الماء والهواء عذبان. المشهد الطبيعي رائع. لقد سافرنا بجانب جدول رافق مسيرنا من محطة رياق إلى دمشق. كانت مياه الجدول شديدة البرودة تندفق بعدذوبة. كانت بساتين المشمش والسفرجل والتوت والتفاح (في المنطقة المحيطة. إلى جانب المنظر الطبيعي. تعبر إلى الروح كما يقولون. هذه المنطقة مشهورة بالفواكه المجففة (غشاء رقيق من لب الفاكهة المجفف في الشمس)». راجع: *Yengin, Drama*, 3-4. وعن أريحا يكتب ينغين: «أريحا مكان جميل مليء بالموز واليوسفي والبرتقال والتين.» ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٧م. *Yengin, Drama*, 22.

١٩١٧م ضمن الانسحاب أمام الهجوم البريطاني على غزة. ما مجموعه ثلاثمئة غرام من الذرة ودقيق الذرة يومياً^{٥٥}. يتحسن وضعه بعد بضعة أسابيع: «الحمد لله. لقد أعددتنا الخبز. لقد حصلنا على بضعة كيلوغرامات من الطحين وكيوليين من زيت السمسم ... استطعت قلي بإذنجانة ببعض زيت السمسم. هذه الليلة تناولت عشاءً لذيذاً شهياً^{٥٦}. وهكذا أولم ينغين. والمائة وسبعة وعشرين^{٥٧} فرداً الآخرين في كتيبتهم. على الباذنجان والخبز في ذلك اليوم. بعد أشهر من القتال وحصص الطعام الهزيلة. كتب ينغين في السادس من كانون الأول: «الحمد لله نجحنا في الحصول على بعض الطعام المطبوخ اليوم.»^{٥٨} وفي الحادي عشر من شباط ١٩١٨م كان ينغين مبتهجاً: «منذ مغادرتنا اسطنبول. كان الطعام المطبوخ الوحيد الذي حصلنا عليه هو حساء البرغل مع لحم ثور بلغ التسعين من عمره. مع زيت زيتون أو سمسم منتن. أصبنا الليلة بالدهشة. فقد قدّم لنا زيت (طازج) وحساء برغل وعنب وفواكه مضغوطة (بيستل).»^{٥٩} في الرابع عشر من آذار ١٩١٨م كانت الحصة الغذائية تسعين غراماً من اللحم (قاورما). وللغداء مئة غرام من العنب.^{٦٠} وكتب في اليوم التالي: «مئة غرام من البسكويت (بقسماط) وخمسمئة غرام من العنب للغداء. ثم حمص مطبوخ للعشاء.»^{٦١} يبدو أن الحصص الغذائية قد تحسنت بحلول شهري آذار ونيسان: في السادس عشر من آذار ١٩١٨م. قطعة من الخبز ومئة غرام من اللحم. ومئة غرام من البرغل. ومئة غرام من الجوز. أربعمئة غرام من العنب وعشرة غرامات من الدقيق.^{٦٢} وفي السابع عشر منه: مئتي غرام من الحنطة. ومئة غرام من لحم الماعز. وثمانون غراماً من التين. ومئة غرام من الفواكه المضغوطة.^{٦٣}

قريباً من هذا التاريخ وصاعداً. حيث حصل ينغين على وظيفة معاون. أصبح يكتب تقارير لمصلحة الجيش. لذلك فهو يوثق بصورة يومية تقريباً ما يقدّم إليه من طعام. الأمر الذي شكّل نافذةً جذابةً وحقيقيةً

٥٥ *Yengin, Drama*, 23. في بداية كانون الأول قدم له الطحين فقط. ١٠ كانون الأول ١٩١٧. *Yengin, Drama*, 26.

٥٦ ١١ كانون الأول ١٩١٧. *Yengin, Drama*, 27.

٥٧ ٩ كانون الأول ١٩١٧. *Yengin, Drama*, 30.

٥٨ ٦ كانون الأول ١٩١٧. *Yengin, Drama*, 27.

٥٩ علامة التعجب في النسخة الأصلية (المنشورة). ١١ شباط ١٩١٨. *Drama*, 33.

٦٠ ١٤ آذار ١٩١٨م. *Yengin, Drama*, 41.

٦١ ١٥ آذار ١٩١٨م. *Drama*, 41.

٦٢ ١٦ آذار ١٩١٨م. *Drama*, 43.

٦٣ ١٧ آذار ١٩١٨م. *Drama*, 43.

تطلُّ على حياة الجنود اليومية. قُدِّمت هذه الأطعمة بصورة متكررة للجنود: طبق اللحم بالبرغل، أو خليط البرغل مع العدس الأحمر^{١٤} العنب، الخبز، الجوز، الشعير، الذرة، الفول، زيت الزيتون، دبس السكر، نبات البيقة، الملح^{١٥} يبدو أنّ بعض الاستقرار قد تحقق أخيراً بحلول صيف سنة ١٩١٨م، وتحسنت الحصص الغذائية اليومية^{١٦}. وإذا قارن المرء الكميات التي ذكرها ينغين هنا بما دونه الجنود الآخرون بشأن حصص الغذاء، سيجد أنّ الأمرين يمكن مقارنتهما في بعض الحالات. أو أنّ ذلك يشير إلى أنّ الحصص الغذائية كانت حقيقةً أقل بكثير مما طرح سابقاً^{١٧}. كتب الضابط فؤاد إيردين بما يتجاوز إشارة ساخرة أنّ البسكويت الذي وُزِع في حملة سيناء سنة ١٩١٥م كان «ناضجاً رقيقاً معتدل الحرارة رائحاً فحماً شهياً...» (إضافة إلى العديد من الصفات الأخرى المبالغ بها والساخرة، لكن يمكن للمرء أن يفهم الفكرة)^{١٨}.

عندما تراجعت القوات العثمانية بصورة مباشرة شمالاً من دمشق، أصبح الطعام شحيحاً مرةً أخرى، وأصبح مطلوباً من الجنود شراء مؤنهم بأنفسهم، كتب ينغين:

رغم أن نقودي كانت مقبولة في ماحص^{١٩} فإنّ الأشياء تباع هنا بأسعار باهظة. فتكلفت

قربة ماء متليكان أو ثلاثة، اثنان وستون درهم من العنب تكلف قرشاً ونصف، الجبنة تكلف عشرة قروش، بيضة واحدة تكلف قرشين ونصف... لم تتركني هذه الحصص الهزيلة جائعاً فحسب، لكنّها تسببت لي ببواسير مؤلمة. لم تبق لدي قوة للمسير العسكري. لقد تركت إنسانيتي خلفي^{٢٠}.

مهما يكن الوضع، فمن الواضح من خلال هذه الأرقام، ومن خلال التقارير التي قَدَّمها جنود آخرون أيضاً أنّ الحصول على طعام كافٍ، لا سيما خلال التجنيد والتدريب والقتال والانسحاب، كان مصدراً مستمراً للقلق. فقد شكى إحسان ترجمان^{٢١} وأليكسندر أرونسون^{٢٢} وخليط طوطح^{٢٣} من الحصص الغذائية الضئيلة. وصف أحد شهود العيان من دير القمر (في جبل لبنان) حالة الجنود كما يلي: «كما عانى الأتراك (أي الجنود) من الجوع الشديد. كان من المعروف أنهم يبيعون بنادهم مقابل خمسة جنيهاً ورقية أو رغيفين من الخبز، بعد عدة إخفاقات عسكرية انسحب الضباط مخلفين وراءهم الجنود. لقد رأيناهم يأكلون العشب»^{٢٤}. من الواضح أن بيع الجنود لأسلحتهم كان أمراً شائعاً نسبياً. فقد كتب ينغين خلال الهروب من القدس نحو أريحا «كما أردنا بيع مسدساتنا، لكن لم نجد من يريد شراءها»^{٢٥}.

١٤ كانت هذه الحالة في معظم أيلول وتشرين الأول ١٩١٨م. راجع: Yengin, Drama, 100-115.

١٥ Yengin, Drama, 43-92.

١٦ في إحدى الحالات كتب أن الحصص الغذائية في بداية تموز كانت من زيت الزيتون وحساء البرغل للإفطار وبرغل مهروس مع بصل للغداء، بمجموع كبير من ٢١٣٤ كالوري صحي. ٧ تموز ١٩١٨م. Drama, 97-8.

١٧ قارن هذه الأرقام التي وثقها ينغين بتلك التي توجد في أماكن أخرى في أدبيات زورخر، الذي يقترح أن الحصص الغذائية اليومية للجنود العثمانيين كانت كبيرة نظرياً وفي الوثائق الرسمية. ٩٠٠ غرام من الخبز، ٦٠٠ غرام من البسكويت، ٢٥٠ غراماً من اللحم، ١٥٠ غراماً من البرغل (القمح المكسور)، ٢٠ غراماً من الزبدة، ٢٠ غراماً من الملح، في حيفا وفي سنة ١٩١٨م، كانت حصص الخبز اليومية ٩٠٠ غرام، في فلسطين كانت تلك الحصص ٦٠٠-٣٠٠ غرام، بينما في دمشق كانت ٦٠٠-٥٠٠ غرام. راجع: Zurcher, The Young Turk Legacy, 179-80. وهناك أرقام أخرى عادة ما تقتبس بخصوص حصص الطعام الخاصة بالقوات العثمانية وهي مستقاة من حصص حملة سيناء سنة ١٩١٥م: ٦٠٠ غرام من البسكويت، ١٥٠ غراماً من التمر أو الزيتون، ٢٣ غراماً من السكر، ٩ غرامات من الشاي (كان الشاي بارداً ومن غير سكر).

İnönü, Hatıralarım, 167; Erden, Birinci Dünya Harbînde, 18, 33-4, 71.

Erden, Birinci Dünya Harbînde, 33

١٩ من المؤكد أن هذه القرية تقع بين حماة ودمشق، لكن الكاتب لم يستطع تحديدها.

٧٠ ٧ تشرين الأول ١٩١٨م. Yengin, Drama, 106.

٧١ عانى المجدد المقدسي إحسان ترجمان التمييز ذاته فكتب، «سبحان الله، هل يجمع الجيش الأرز من أجل الضباط فقط، بينما نحن الجنود نداس حقوقنا؟» تماري، عام الجراد، ١٤٥.

٧٢ يخبرنا أن الجنود العرب في قاعدته كانوا عملياً يرقصون وينغون كل ليلة. «كانت أفكارهم ببساطة: «غدا سنأكل اللحم والأرز» Aaronsohn, With the Turks in Palestine, 15.

٧٣ كتب خليل طوطح في يومياته، وهو مرّب وكتّاب فلسطيني مشهور خدم أيضاً في الجيش العثماني، «لم نتناول طعام الفطور لمدة ثلاثة أشهر» هذا خلال تدريبه العسكري في القدس سنة ١٩١٤م. وأضاف «عندما كان الأتراك لطفاء بشكل كافٍ ليقدّموا لنا الطعام كنا نتناول الخبز والجبنة والخيار، كنا نتصور جوعاً لبعض الطعام العربي ولا نستطيع الحصول عليه.»

Ricks, Turbulent Times in Palestine, 208, 210.

٧٤ مقابلة عشوائية مقتبسة في أجاي، جبل لبنان وولاية بيروت، ٢٩٧.

٧٥ ١٠ كانون الأول ١٩١٧. Yengin, Drama, 26. جرى تأكيد حقيقة أن الجنود الأتراك كانوا يبيعون بنادهم على الأقل من خلال حكاية أخرى (منمقة بعض الشيء)، يتعرض فيها عربي متلف لشرائه بندقية من جندي عثماني للخداع حيث يدفع ثلاث ليرات ذهبية مقابل لا شيء. راجع أيضاً:

İbrahim Arkan, Selman Soydemir and Abdullah Satun (eds.), Harp Hatıralarım: Bir Mehmetçiğin Çanakkale-Galiçya-Filistin Cephesi Anıları (İstanbul: Tımas

ويستذكر شاهد عيان آخر «لقد عانى الأتراك [أيضاً]... لقد شوهد الجنود الأتراك الجائعون وهم يزحفون على بطونهم ويأكلون العشب. لقد كانت ملابسهم رثة ولم يُقدّم لهم سوى خمسين غراماً من الدقيق يومياً»^{٧٦} لجأ جنود آخرون. بسبب ضعفهم وبأسهم من الحصول على طعام، للسرقة من السكان المحليين. الأمر الذي قاد أحياناً إلى القبض عليهم (ولاحقاً قتلهم) على يد الأهالي! هذا ما قاله نائب القنصل الأمريكي الذي كان يقطن القدس د. غلازيروك بشأن وضع الجنود الغذائي في أيلول ١٩١٧م: «لقد كان الجوع الذي تعانيه القوات التركية فظيماً. لقد تمتع الجنود الألمان، الذين كانوا على الجبهات بجانبهم، بحصص غذائية يومية مريحة يتم شراؤها بمبالغ كبيرة من اسطنبول عبر قطار مباشر. تمّ تقليص حصص الأتراك إلى قليل من الخبز وبصلية يومية. وإذا حصلوا على ذلك يشعرون بالفناعة والرضا»^{٧٧} مع نهاية الحرب، ترك العديد من الجنود العثمانيين في حالة بأس. وغالباً ما شوهدوا يتسوّلون الطعام في طريق عودتهم إلى مدنهم وبلداتهم وقراهم.^{٧٨}

أوضاع المعيشة

يبدو أن أوضاع المعيشة كانت بائسة جداً. فعندما كانت القوات تنتقل من مكان إلى آخر، غالباً ما كان الجنود ينامون في خيام بالكاد وقّرت ما يمكن تسميته مأوى. في السابغ والعشرين من آب ١٩١٧م، وفي الواحدة بعد منتصف الليل، يخبرنا ينغين أنّ وحدته وصلت قرية «عراق المنشية». تلك الليلة، نصبنا خيامنا واسترحنا هناك حتى بعد ظهر ٢٨ آب... بسبب ظروف الطريق البائسة وأكوام الرمال في كل مكان في تلك الليلة لم نصل إلى القدس حتى الصباح. رغم أنّنا كنا بالكاد

Yayımları, 2007), 193-5.

٧٦ مقابلة مع السيد حليم موسى أشقر مقتبسة في أجاي، جبل لبنان وولاية بيروت، ملحق ١، ١٨.

٧٧ مقابلة مع د. غلازيروك، ٢٨ أيلول، ١٩١٧م. R.T. Davidson Papers 400 (1916-1923), p. 20, Lambeth Palace Library, London.

لقد ترافق مرض التيفوس مع الجوع. وكما يستذكر نوغاليس، فقد أصيب الجيش العثماني السادس الذي كان مقره سورية بالتيفوس الذي سببه سوء التغذية، والذي أطلق عليه الأطباء الألمان بوضوح «تيفوس الجوع». أجاي، جبل لبنان وولاية بيروت، ٤١٢.

٧٨ Izzat Tannous, *The Palestinians: A Detailed Documented Eyewitness History of Palestine under British Mandate* (New York: I.G.T. Co., 1988), 43.

قد نصبنا خيامنا. وبعد ساعة أو ساعتين من النوم المضطرب. كان قد حل الصباح واستيقظنا»^{٧٩} في طريقه نحو السلط في نهايات تشرين الثاني ١٩١٧م. كتب ينغين: «نمت فوق صناديق سجلات المحاسبة»^{٨٠} في العديد من المرات وخلال انسحاب ينغين من القدس في شتاء ١٩١٧-١٩١٨م. لم يكن بالإمكان نصب الخيام وأجبر على النوم في الهواء الطلق في جو بارد متجمد.^{٨١} كان الجنود يقطعون أغصاناً من أشجار الزيتون ليجلسوا أو يستلقوا عليها ليحموا أنفسهم من البرد والطين. «حتى وإن أمكننا الاستلقاء على الأغصان خلال النهار، فإن ذلك لم يساعدنا قيد أنملة في النوم ليلاً»^{٨٢} خلال اليوميات نقرأ عن ليال بلا نوم، وعن فجر مفاجئ. لكن يجب أن يكون ينغين قد اعتبر نفسه محظوظاً كونه في المقام الأول قد حصل على خيمة خلال العمليات القتالية، وهو أمر لم يكن متاحاً لمعظم الجنود العثمانيين خلال الهجوم الأول على قناة السويس خلال الفترة من كانون الأول إلى شباط ١٩١٥م على سبيل المثال. بدلاً من ذلك فقد استذكر عدد من الجنود أنهم كانوا يحفرون حفرة في الرمال بأيديهم العارية ليناموا فيها في الهواء الطلق.^{٨٣}

يبدو أنّ أوضاع القوات التي عسكرت في المدن كانت أفضل من غيرها. فالبعض نام في البيت كإحسان ترجمان: واختار آخرون. كألكسندر أرونسون في بداية تجنيده. رشوة ضابط عربيّ ببطانيات مقابل السماح له بالنوم خارج القاعدة في فندق مالكوه من اليهود في صفد.^{٨٤} من الواضح أن الثكنات العسكرية لم تكن أماكن جذابة بصورة كبيرة للبقاء فيها. يصف خليل طوطح أوضاعاً مشابهة في القدس. حيث كتب «لقد كانت أماكن النوم تشبه حظائر الخنازير»^{٨٥}

٧٩ عادة كانت وحدته تنام في خيام. وأحياناً كانوا يتمكنون من النوم في بيوت فارغة تركها أصحابها بسبب القتال بين القوات البريطانية والعثمانية. راجع يومية ٦ كانون الأول ١٩١٧. ص. ٢٤. في حالات أخرى. كان البرد القاسي هو ما يبقيه مستيقظاً طوال الليل. كما هو مبين في يوميات ١، ٣، ٤، ٥، ٦ كانون الثاني ١٩١٨م. راجع: Yengin, *Drama*, 30.

٨٠ ٢١ تشرين الثاني ١٩١٧. Yengin, *Drama*, 22.

٨١ راجع على سبيل المثال ٢٨-٢٩ كانون الأول ١٩١٧. Yengin, *Drama*, 29.

٨٢ ١٥ آذار ١٩١٨م. Yengin, *Drama*, 42.

٨٣ İnönü, *Hatıralarım*, 167; Mustafa, *Cepheden Cepheye*, 25; Erden, *Birinci Dünya Harbinde*, 18, 33.

لكن يجب التعامل ببعض الحذر مع كلمات إيردن.

٨٤ Aaronsohn, *With the Turks in Palestine*, 17.

٨٥ Ricks, *Turbulent Times in Palestine*, 194.

وكما قلنا سابقاً، لم تكن النظافة والصرف الصحي في حقيقة الأمر من الأولويات الأولى للإدارة العسكرية. فقد أمضى سامي ينغين أربعين يوماً من دون استحمام في أيلول وتشرين الأول ١٩١٧م (والحمام عبارة عن ثلاثة دلاء نحاسية من الماء). ثم أمضى بعد ذلك خمسين يوماً من دون غسل ظهره وذلك في كانون الأول وكانون الثاني ١٩١٧-١٩١٨م.^{٨١} وبعد غسل ملابسه في كانون الثاني ١٩١٨م، اكتشف ينغين نحو مئة وثمان وأربعين قملة في قميصه. وخمس مئة في بنطاله. وبعد محاولة قتلها بيديه العاريتين، عمد إلى إحراقها بسيجارته.^{٨٢} لكن يبدو أن السجارة فشلت في إنهاء المهمة، حيث أنه بعد بضعة أشهر وجد مئة قملة أخرى في ثيابه.^{٨٣}

الالتقاء بين الجنود والسكان المحليين

هناك مظهر آخر مثير للاهتمام في اليوميات. وهو مغامرات ينغين السياحية وتعليقاته بشأن السكان المحليين. كتب في يومياته في السابع والعشرين من حزيران ١٩١٧:

حصلت على إذن بمغادرة المعسكر لأرى دمشق. حيث غادرت في الصباح الباكر. مشيت لمدة خمسة عشرة دقيقة. ثم ركبت عربة وشاهدت دمشق بالكامل... الماء في دمشق بارد ونقي ومتوفر جداً. في كل مساجد ومقاهي دمشق هناك نوافير كبيرة جداً... في نفس اليوم وفي الساعة التاسعة زرت المسجد الأموي الكبير والشهير ... على بعد خمسة وعشرين متراً إلى الشرق يقع ضريح صلاح الدين الأيوبي... زرت الضريح أيضاً.^{٨٤}

بعد انسحاب من جبهة غزة استمر لمدة أسبوع في تشرين الثاني ١٩١٧م، وصل ينغين إلى نابلس. وقد وصف المدينة بدايةً بالثراء: «لا أستطيع أن أصف لكم الثراء الرهيب لهؤلاء القوم ولمبانيهم أيضاً».^{٩٠} من وجهة نظر ينغين، وبعد إمْضاء أشهر على جبهة غزة، يمكن

٨١ Yengin, *Drama*, 10, 31 على التوالي

٨٧ ١٠ كانون الثاني ١٩١٨م. Yengin, *Drama*, 31.

٨٨ ١٥ آذار ١٩١٨م. Yengin, *Drama*, 42.

٨٩ Yengin, *Drama*, 4.

٩٠ Yengin, *Drama*, 20.

لنابلس أن تبدو بشكل جيد مثل الجنة. لم يكن ينغين وحيداً في هذا المضمرة. يذكر الجنود الأتراك بصورة متكررة في مذكراتهم حصولهم على أيام إجازات. أو التوقف مع وحداتهم كاملةً للتجول والسياحة في المدن والمواقع المهمة في سورية. وخصوصاً دمشق والقدس وبعليبك.^{٩١} مع ذلك، ليس من الواضح دائماً مقدار التماس بين الجنود والسكان المحليين. وكما كتب أحد الجنود بوضوح. فقد كان التواصل بين الجنود والسكان المحليين في حدّه الأدنى تماماً.^{٩٢} تبدو هذه المغامرات السياحية بريئة نسبياً. وأيضاً. تخبرنا أكثر من رواية وقصة حول هذا التواصل أنّ الجنود العثمانيين الذين نزلوا قرب القرى لم يكونوا دائماً مهووسين بالسلب. وهو أمر أصبح جزءاً لا يتجزأ من الوصف النمطي للجيش العثماني. في بعض الحالات. قرأنا قصصاً عن علاقات ودية بين الجيش والسكان المحليين.^{٩٣}

الفرار من الجندية

سجّل ينغين أنه في الأول من تشرين الأول أُلقي القبض على ثلاثة جنود من فوجه يحاولون الهرب باتجاه العدو. نصبت المشانق حول بئر مهجور قرب المنشأة الصحية التابعة للقيادة العسكرية على جبهة غزة. قُبِد الجنود إلى المشانق من أكتافهم وأرجلهم وأوساطهم. بينما كان كامل الفوج العسكري يشاهد ذلك. وأعلن عن الجرائم التي ارتكبتها الجنود الثلاثة وغطيت أعينهم. وقفت ثلاث فرق عسكرية على مسافة عشرين متراً

٩١ على سبيل المثال تجول جندي آخر مصطفى. في القدس في يوم إجازته. راجع: Mustafa, *Cepheden Cepheye*, 23
كما كتب Şerif Güralp عن أيام إجازته في القدس: Şerif Güralp, *Çanakkale Cephesinden Filistin'e*, 65-6

٩٢ كتب جندي تركي قاتل على جبهة فلسطين بوضوح «مبدئياً لم يكن لدينا اتصال مع سكان البلدات ... لم نعول عليهم ولم يكن بإمكاننا مصادقتهم». راجع: Gücüyener, *Sina Çölünde*, Türk Ordusu, 17.

٩٣ تدعي رواية سكان صهيابنة جرى إيواؤهم في هولدا مدة شهر تقريباً خلال أشهر الحرب الأولى. أن العلاقات الصهيونية بقيت على ما برام مع الجنود العثمانيين الذين خيموا تماماً خارج المستوطنة. مضيفين «أكد لنا القائد العسكري أن حقولنا لم ينلها أذى بتاتا وأنه لم يؤخذ أي متاع من المستعمرة». A. Ruppin, 29 March 1915, p. 5, Central Zionist Archives (GZA) Z3/1480.. لدينا شهادة أخرى من جندي عثماني كتب حول مساعدة السكان المحليين في الرملة على مواجهة التراخوما في: Rahmi Apak, *Yetmişlik Bir Subayın Hatıraları* (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basımevi, 1988), 157.

من تموز ١٩١٦م.^{٩٤} على الرغم من عدم وضوح مدى تكرار تنفيذ الإعدامات في أماكن عامّة كعقوبة على الفرار من الجندية، فإنّ أحد المصادر يقول «لم يكن يمر نهار ... لا يشهد تدلّي فارسٍ أو ثلاثة من العرب على عوارض خشبية أو أعمدة التلغراف.»^{٩٥}

لنتأمل قصة إحدى ضحايا سياسة الفرار من الجيش. يوسف أموزج، الذي عمل في بئر السبع كخياط في الجيش وشنق حتى الموت بتاريخ التاسع والعشرين من تموز ١٩١٦م. يقال أنّ قائده أرسله إلى القدس ليشتري قماشاً لبذلتين جديدتين وكان معه مذكرة إجازة. وبينما كان أموزج في القدس يعمل في محله، أخبر الوشاة السلطات بمكان وجوده. حيث أتوا في منتصف الليل واعتقلوه. شرح أموزج سبب وجوده في القدس لكن من دون فائدة. أتت والدته حنينة إلى الثكنة حيث كان محتجزاً، وطلب منها جلب مذكرة الإجازة. بحثت في كل مكان. وأخيراً وبعد أسبوعين وجدت المذكرة. بمنتهى الفرح حلبت شاتاه وغلّت الحليب وحضرت رغيفاً من الخبز الأبيض لتحضره ليوسف عند الإفراج عنه. في طريقها لتسليم المذكرة، التقت بأشخاص يذرفون دموعاً مريرة. لقد كان الأمر متأخراً جداً. كانت جثة أموزج مدلاة على عارضة أمام بوابة يافا.^{٩٦}

نهاية الحكم العثماني

يروى ينعين بالتفصيل انسحاب الجيش من سورية. ونهاية نحو أربعين عام من الحكم العثماني في المنطقة. تعرضت المواقع العثمانية للهجوم مع نهاية صيف سنة ١٩١٨م. وبسرعة أصبحت هذه اليوميات تشبه رواية مثيرة. فتخبّرنا اليوميات بشأن التراجع العثماني والانسحاب من المنطقة الجبلية الداخلية من فلسطين ومعركة وادي عارة وعرة والهجوم على غابات دير الحطب في الثامن عشر والتاسع عشر من أيلول ١٩١٨م.^{٩٧} اجتاز ينعين ورفاقه في الثاني والعشرين

وفتحت عليهم النار.^{٩٤} رغم أنّه ليس من الواضح كم تكرر حدوث هذا النوع من الإعدام على الملأ. فإنّ يوميات ينعين تخبرنا بأنّ الفرار من الجندية كان حدثاً يومياً. وتزايد الفرار من الجندية مع اقتراب نهاية الحرب. وفي تشرين الأول ١٩١٨م. بدأت الأعداد في التصاعد بصورة كبيرة. أربعة وسبعون فارساً في التاسع عشر من تشرين الأول ١٩١٨م. خمسة وثلاثون فارساً في الرابع والعشرين منه (ثمانية منهم لم يكونوا مسلحين). وبعدها سبعة عشر آخرين في الخامس والعشرين من ذات الشهر.^{٩٥}

على الرغم من أنّه لا أحد يعلم كم هي نسبة الجنود العثمانيين الفارين. فإنّ إحدى التقديرات رفعت الرقم إلى ما يقارب الثلث.^{٩٦} ولقد بدا في بعض الحالات أنّ ردة فعل الدولة كانت متساهلة. تمثّلت في إعلاناتٍ ساذجةٍ نسبياً. نشرت في الصحف المحلية. تعلن العفو عن كل الفارين الذين يعودون إلى كتائبهم العسكرية التي كانوا يعملون فيها.^{٩٧} لكنّ في العديد من الحالات الأخرى يبدو أنّ العقوبات كانت بالغة القسوة. كما في المثال السابق. وأي فارس لم يتمكن من العودة إلى كتيبته في الوقت المحدد كان يحاكم أمام ديوان الحرب. أي المحكمة العسكرية. ويحكم عليه بالموت.^{٩٨} كانت هذه الحالة على جبهة المعركة كما يصفها ينعين. وكذلك في بلدات الإقليم ومدنه. مثلما حدث في شنق يهوديين ومسيحيين ومسلم واحدٍ من الفارين على الملأ على بوابة يافا في القدس في التاسع والعشرين

٩٤ Yengin, *Drama*, 10 لمزيد من القصص حول الإعدامات العلنية على جبهة غزة راجع. A Suzanne Schneider, "A Different War, a Different Zion: Yehuda Burla and the WWI Jewish Experience," Annual Meeting of the Middle East Studies Association, New Orleans, LA, 12 October 2013

٩٥ يذكر ينعين أن عمليات فرار أخرى من حاميته كانت تكرر بصورة كبيرة: ٢٩ آذار. ٢٠ نيسان. ٣١ أيار. ١٢، ٢٥، ١١، ١٤، ٢٣، ٢٥، ١٩، ١٤، ٣٠ حزيران. ٧، ٨، ١١، ١٥، ١٨، ١٩ تموز ١٥ آب. ٢٥، ٢١، ١٩، ١٤، ٣٠ تشرين الأول. ١، ٢٦-٢٥ تشرين الثاني. راجع: Yengin, *Drama*, 54, 66, 86, 87, 89, 90, 92, 93, 94, 98, 99, 100, 101, 106, 108, 109, 110, 111, 112, 113, 115 حول الفرار بلا سلاح. راجع Yengin, *Drama*, 110.

٩٦ Zurker, *The Young Turk Legacy*, 177-78.

٩٧ الاتحاد العثماني. ٨ حزيران ١٩١٥م. ١١ حزيران ١٩١٥م. كان من الممكن استخدام عقوبات أخرى لا تصل إلى درجة القتل: على سبيل المثال جرى تحذير الطبيب في الجيش العثماني من بعلي بك إبراهيم أفندي حشيش، الذي فر فيما يبدو إلى إيطاليا وفرنسا. أنه في حال لم يمثل أمام ديوان الحرب. فإنه سيجرّد من حقوقه المدنية وسيجري مصادرة جميع ممتلكاته. راجع الاتحاد العثماني. ٨ حزيران ١٩١٥م.

٩٨ ٩ حزيران ١٩١٥م. لمزيد من الأمثلة حول الإعدامات العلنية بسبب الفرار من الجندية راجع الاتحاد العثماني. ٩ أيار ١٩١٥م. ٢٤ حزيران ١٩١٥م.

٩٩ بخصوص فرقة الإعدامات في دمشق. راجع الاتحاد العثماني. ٢٢ حزيران ١٩١٥م. بالنسبة إلى الإعدامات يافا راجع:

Yisraeli 'Oded and Yosef Greenbawm, "Yosef Amozig, Khayat Yehudi she-Guyas le-Zeva" ha-Turki ve-Nittlah be-Sha'ar Yafo 'al lo 'Avel ba-Kfo," *Ariel* 176 (2006): 80

Raphael De Nogales Méndez, *Four Years Beneath the Crescent* (New York, London, C. Scribner's Sons, 1926), 273

١٠١ Yisraeli and Greenbawm, "Yosef Amozig," 80-82

١٠٢ ١٨-١٨ أيلول ١٩١٨م. Yengin, *Drama*, 104-5.

من أيلول. نهر الأردن وكانت القوات البريطانية خلفهم تماماً. لقد اضطروا للانفداع في منتصف الليل حتى يبعدها أنفسهم عن البريطانيين. أصبح ينغين الآن يواجه هجمات إضافية من قطاع الطرق العرب على طول الطريق. كتب ينغين: «عندما وصلنا عجلون ... كنا جميعاً مرهقين للغاية»^{١٠٢} «لقد تمزق حذائي. لم يبق شيء من حذائي الأيسر»^{١٠٤} بعد أسبوع وصل ينغين إلى دمشق. التي كان الأعداء قد احتلوها منذ الثلاثين من شهر أيلول. ما دفعه إلى الانسحاب أكثر حتى وصل حماة في السابع من تشرين الأول. ستكون الجولة التالية من رحلته ركوباً في القطار من حماة إلى حلب. غادر القطار حماة الساعة الخامسة فجراً، وكان ينغين مرهقاً وجائعاً. «لم يكن هناك شيء يؤكل»^{١٠٥} في ٢ تشرين الأول كان العدو على بعد اثني عشر كيلو متراً خلفهم. «أخذت موقعاً على قمة كومة تراب كبيرة على الطريق... وعندما رأيت عربيتين مدرعتين للعدو علي بعد نحو ألف متر أطلقت النار»^{١٠٦} بينما بقيت وحدة أخرى في الخلف لتواصل إطلاق النار على القوات البريطانية المتقدمة. حصل ينغين على ركوبة مجانية في سيارة لتقله أبعد شمالاً.

بعد خمسة أيام. في الحادي والثلاثين من تشرين الأول. كتب ينغين: «لا يوجد ما أنقله بخصوص اللواء اليوم. يُقدّم نفس الطعام للجنود. حتى الحساء تمّ توزيعه. وصلنا كلام اليوم بأنّه تمّ التوصل إلى وقفٍ رسميّ لإطلاق النّار واتفاقية هدنة»^{١٠٧} لقد انتهت الحرب رسمياً. وكذلك الحكم العثماني في سورية. جرى تسريح بعض الجنود من الخدمة فوراً. ولحقهم آخرون بالتدريج خلال الأسابيع القليلة التالية^{١٠٨} يشرح ينغين كيف بدأت الوحدات العثمانية بتفاسم الحيوانات والمؤن بينهم قبل أن يتفرقوا: حصلت وحدة الرشاش الآلي. على سبيل المثال. على بغل وحصان من الجيش الثالث^{١٠٩} وأكثر من ذلك يبدو أنّ بعض الأشياء التي تمّت مصادرتها قد جمعت من القرى في كورت كولاك

والزاريبيك وحولها.^{١١٠} واصل ينغين الطريق مع وحدته إلى أوكسوزلو ثم أنيداني ثم إكبيز وكورو هوجالي.^{١١١} أتى الكولونيل كاظم بيه لجمع الأسلحة من الجنود.^{١١٢} منذ الآن استمرت الرحلة (على الأقدام) إلى حسن بيلي. مُنحت عربة حمار لدائرة الصحة لتحمل متعلقات ومؤونة الجنود الضعفاء.^{١١٣} اتسم المسير العسكري اليومي بانطلاقه الساعة السابعة والنصف أو الثامنة صباحاً. مع استراحة لمدة خمس عشرة دقيقة كل ساعة. أُقيمت الخيام للمبيت فيها ليلاً في عصمانية ومصطفى بيلي وسيهان وأخيراً أضنة. حيث مكث ينغين ثلاثة أيام.^{١١٤} بعد عبور نهر سيهان والوصول إلى ينيس. أقام ينغين ووحده مخيماً ليقيموا فيه ليلاً. «لا أستطيع وصف جفاف الطقس البارد تلك الليلة. لم يكن لدينا فحم أو خشب (نحرقه)»^{١١٥} استمرت الرحلة نحو جوليك. كورتوموسا. كافاكليهان. داملاما. كارديهان. وبوزانتني. «اليوم في بوزانتني التقيت بأحمد بيك من درمة. لكنّ قائد اللواء لم يمنحني إذنًا لـ (أغادر الوحدة و) أذهب برفقة أحمد بيك. لقد كنت حزيناً جداً»^{١١٦} من بوزانتني. استمرت الليالي المتجمدة الطينية (الخالية من النوم) «والتي لا يمكن وصفها» مع وصول ينغين لكيفتيهان. كولسون. نيجدي. كيسرهابسر.^{١١٧} بعد بضعة أيام. في ٢٧ كانون الأول ١٩١٨م. استطاع ينغين وجنوده أن يناموا ليلتهم في مقهى لأحد الأصدقاء. ووصلوا في اليوم التالي إلى قونية. بعد مسيرٍ عسكري استمر ثمانين عشرة ساعة. وفي قونية استطاع ينغين أن يتدبر أمره في أحد القطارات. وهو أمر من المؤكد أنّه كان مصدر راحةٍ كبيرة له. لا سيما أنّه كان قد اجتاز على قدميه نصف الأناضول.^{١١٨}

من قونية كان الهدف التالي أفيونكاراهيسار ومن ثم أزمير. حيث وجد ينغين نفسه وسط نحو ألفي جندي يحاولون العودة إلى اسطنبول. لقد «هجم» جميعهم على العربات عندما وصل القطار. حشر سبعون جندياً

١١٠ أخذت ١٠٠ كيلو غرام من الشعير و٤٠٠ كيلو غرام من الدّخن من قرى هذا الإقليم في شمال سوريا. راجع يومية ٦ تشرين الثاني ١٩١٨م. Yengin, Drama, 113.

١١١ ٨-٧ تشرين الثاني ١٩١٨م. Yengin, Drama, 114.

١١٢ ١١-١٠ تشرين الثاني ١٩١٨م. Yengin, Drama, 116-7.

١١٣ ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٨م. Yengin, Drama, 121.

١١٤ ٢٤- ٢٥. ٣٠ تشرين الثاني و ٤ كانون الأول ١٩١٨م. Yengin, Drama, 121-2.

١١٥ ٨ كانون الأول ١٩١٨م. Yengin, Drama, 122.

١١٦ ١٥ كانون الأول ١٩١٨م. Yengin, Drama, 123.

١١٧ ٢٤ كانون الأول ١٩١٨م. Yengin, Drama, 124.

١١٨ ٢٨ كانون الأول ١٩١٨م. Yengin, Drama, 125.

١٠٣ ٢٢ أيلول ١٩١٨م. Yengin, Drama, 105.

١٠٤ ١٠٥ Yengin, Drama, 105.

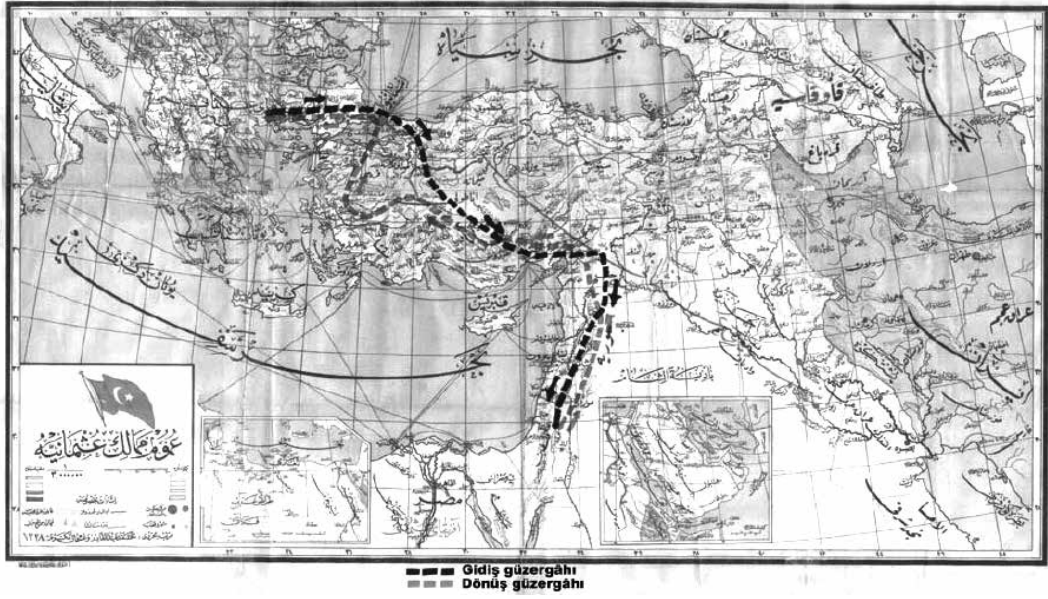
١٠٥ ٨ تشرين الأول ١٩١٨م. Yengin, Drama, 106.

١٠٦ ٢٤ تشرين الأول ١٩١٨م. Yengin, Drama, 109-110.

١٠٧ ٣١ تشرين الأول ١٩١٨م. Yengin, Drama, 112. وقعت الاتفاقية فعلياً في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨م. وعرفت باسم اتفاقية مدرس.

١٠٨ راجع على سبيل المثال يوميات ١٦ و ٢٠ تشرين الثاني و ١٨ كانون الأول. Yengin, Drama, 118, 124.

١٠٩ ٣ تشرين الثاني ١٩١٨م. Yengin, Drama, 113.



مسار سفر سامي ينجين من درمة إلى فلسطين (الأسود) ومسار العودة (الرمادي).

خلاصة

امتدت قصص الأتراك الأشرار في الوعي الشعبي وفي المجال المعرفي أيضاً منذ فترة الحرب الأولى حتى وقتنا هذا. لست أجادل في أنّ الجيش أو الدولة مؤسسات خيرية، أو كون الاحتلال العسكري والأحكام العرفية أمور يمكن تبريرها، أو أنّ العثمانيين لم يسيطروا ولم يسرقوا من السكان المحليين. لقد حاولت في الواقع أن أعطي وجهاً إنسانياً للجنود، ومن بينهم بوجه خاص «الأتراك الأشرار» الذين أغرقت الذاكرة الوطنية تجارب مشقاتهم وجوعهم وتوقهم لأيام أفضل في عالم النسيان. لم يكونوا جميعاً أتراكاً أشرار، وكما حاولت أن أبين أعلاه فإنه يبدو أنّ العديد منهم، إن لم يكن معظمهم، اختبروا مكرهين أوضاع المجاعة والألم والاضطراب، واستهدفوا بالإعدامات تماماً كشعب سورية نفسه.

- ترجم المقالة من الإنجليزية للعربية علي موسى.
- راجع الترجمة سميح حمّودة.

أنفسهم في العربات. إضافةً إلى ثلاثين آخرين تقريباً اعتلوا كل عربة.¹¹⁹ واصل الجنود طريقهم إلى أوساك. الأسيهير، أوديميس. حيث كان يسكن عمّ ينجين، محمد. حيث تمكن ينجين من الاغتسال وغسل بعض ملابسه في ٤-٣ كانون الثاني ١٩١٩. وصل الجنود بعد ذلك إلى إزمير في ٢٥ شباط ١٩١٩م. لكن وبسبب عدم وجود قطارات أو سفن تتجه نحو اسطنبول (أو سيلانيك)، فقد بقي ينجين مقيماً عند عمّه محمد في أوديميس مدة شهرين. كان مجرد الانتقال من إزمير إلى اسطنبول سيكلف ينجين ١٢٠٠ قرش! كتب ينجين بسخط تام، «كنت أشتاق لهذه اللحظة لمدة ثلاثة أعوام ... والآن ليس هناك مواصلات.»¹²⁰ أخيراً، في ٥ نيسان ١٩١٩م تمكن من دفع ٥٠٠ قرش مقابل مقعد درجة ثالثة على متن قطار متوجه من إزمير إلى بنديرما. ومن بنديرما كان على ينجين دفع ١٢٢,٥ قرشاً إضافي ليحصل على مكان على متن سفينة شحن متجهة إلى اسطنبول. حيث مكث بضعة أسابيع. في الأول من أيار ١٩١٩م، غادر ينجين اسطنبول، ماراً عبر أوكيولار، إنسس، ساريسابان، كافالا، وأخيراً وصل إلى درمة. كتب ينجين في نهاية يومياته: «وصلنا كوباليسستا مساء يوم الأحد. أخيراً وصلت إقامتي المؤقتة في بلاد الغربية إلى نهايتها.»¹²¹

119 ١ كانون الثاني ١٩١٩، Drama، Yengin،

120 هذا ما كتبه في رسالة إلى أسرته بتاريخ ٣ آذار ١٩١٩، Drama، 127، Yengin،

121 ١ أيار ١٩١٩، 129، Drama، Yengin،